آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية
السنة العشرون، العدد الثاني، الخريف والشتاء ١٤٣٨ هـ .ق، ٧٩ – ١٠٣

خطاب الأمل عند بشرى البستاني

دراسة ونقد

علي‌باقر طاهري‌نيا*

حسين الياسي**

الملخص

إنّ من أهم مقومات الأدب الملتزم هو الوعي الممكن عند الشاعر والإيمان بتجاوز المرحلة الزمنيّة المعيشة. الحقيقة الشعريّة تتطلب من الشاعر أن يواكب تأسيس الوعي بالواقع الإنساني عند المتلقي برؤية مستقبليّة تكسبه الصدقيّة في التعبير وفي المشاعر وفي التجريب الشعري والشعريّة الحقيقيّة تتجلّى في الجمع بين الوعي الفعلي الذي يرتبط بإدراك الواقع والوعي الممكن الذي يرتبط بالرؤية المستقبليّة في الخطاب الشعري.بشرى البستاني صوت شعري مسكون بالأمل لا يخفت أصلاً ولا يتزعزع أمام عوامل السلب والانفصال التي عمدت ولاتزال لتحطيم فاعليات المكان. إنَّ الأمل بالمستقبل الزاهر الطافح بالحيوية والفاعلية هو سلاحها الذي به تقاوم عوامل السلب والإنفصال المشتبكة بواقع الأمة وهو الذي يحقّق الحضور ويفتح أبواب الخلاص من المحن والمكابدات المتالة على الأرض العربيّة وإنسانها ويلمُّ بعثرة المكان ويردم الهوات التي تخلقها عوامل السب والانفصال على وجه الأرض ويجعل الإنسان المعاصر أن يتمكن من التماسك والمقاومة والتشبث بالبقاء في مواجهة عوامل السلب والانفصال. الرؤية المستقبليّة التي تطغى

---

* أستاذ فرع اللغة العربيّة وآدابها، بجامعة طهران (الكاتب المسؤول) btaheriniya@ut.ac.ir
** طالب الدكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها، بجامعة طهران
تاريخ الوصول: ١٣٩٦/٧/٢٨، تاريخ القبول: ١٣٩٦/٩/٢

مسحتها على كلّ كلمة تقولها بشرى البستاني تنمّ عن الوعي الشعري المتقدم للشاعرة حيث ترى أنّه لولا الأمل والتفاؤل ما يصمد الشعب ولا يتمكّن من مواجهة العدوان. ينصبّ الاهتمام هنا إلى دراسة هذه الاستراتيجية الفكرية في خطاب بشرى البستاني الثوري الذي تطغى عليه مسحة التفاؤل ومن هنا يتمّ التركيز على بعض الشواهد المناسبة والعكوف على فحصها ودراسة دلالاتها ومكوناتها وبيان ما يشعُّ عنه من الإيحاءات المحدّدة لتقديم دراسة نقدية متكاملة لاستجلاء الرؤية الفكرية والفنية لهذا الخطاب الشعري والمنهج المختار هنا هو الوصفي . التحليلي والبحث اتخذ في تحليل الأشعار السيمائية مساراً له لدراسة واستنطاق الرموز والدلالات التي تبعث على الأمل والتفاؤل في خطاب بشرى البستاني الشعري.

الكلمات الرئيسة: بشرى البستاني، الخطاب الشعري، الحرب، الأمل.

١. المقدمة

لقد مرّ المجتمع العراقي بأحداث كثيرة كانت عاملة في زعزعة البنى السياسيّة والاجتماعيّة للعراق المعاصر. كان العراق قبل الاحتلال الأمريكي في زمن صدام حسين يتخبّط في الجمود والتقوقع وانعدام القيم نتيجة تفشي الظلم والتصفيات الدمويّة التي كان البعث ملتزماً بها وسيلة للحفاظ على الحكم وجاء الاحتلال الأمريكي بعد الإطاحة بحكم صدام وهو ينادي بالحريّة والديمقراطيّة بينما لم يكن له هدف إلّا استلاب خيرات العراق وتشريد واقتلاع إنسانه وكان حاله كمن يلوذ بالنار من الرمضاء وصار من اللزام على الشاعر في ظلّ هذه الأحداث الجسامة التي مرّ بها المجتمع العراقي أن يستوعب روح العصر وأن يكتوي بنارها وكان من اللزام عليه والمجتمع يسير في التخلف والتأخر بفعل عوامل السلب والانفصال أن يدرك أهمية دوره في مواجهة كلّ ما يعيق مسير المجتمع من التوصل إلى التقدّم و الرقي.

بشرى حمدي البستاني من أبرز الشاعرات في الحركة الشعرية العراقية التي واكبت ولاتزال حركة المجتمع بثقافة ناضجة وحس وطني مرهفٍ وعمق معرفي وحضاري منذ ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ حتى الزمن الراهن عند ظهور الدواعش على المسرح العراقي الذين جاءوا إلى العراق

ليكمّلوا سلسلة خرابات العراق بالدعم من الصهيونية والامبريالية الأمريكية وعاشرت الأحداث التي عصفت بالأرض العربيّة وشربت من الكأس التي أُلزم الشعب العربي أن يشرب منها حتى الثمالة ما خلق في نفس بشرى البستاني الحس الثوري والتمرّد. شخصية بشرى البستاني شخصية أنوثة متميزة لبت نداء شعورها وانخرطت في معركة الإحياء والنهوض وراحت بشعرها الذي لا يهدف سوى الدفاع عن انسانية الإنسان وعن الجوهر الإنساني الأصيل، أن تضرم وهج الأمل بالمستقبل في نفوس الإنسان العراقي والإنسان العربي على وجه الخصوص لتخفّف من ثقل العذابات التي مني بها نتيجة الاجتياحات الاستعماريّة. تعجُّ نفسها بالإيمان بإرادة الإنسان وجنَّدت ولا تزال عند ظهور الدواعش على مسرح العراق تجنّد شعرها لدعوة الشعب العراقي والإنسان عموماً إلى هذا الإيمان جامعةً في شعرها بين السريالية وهي تعني حرية الفنان وبين الماركسية التي تحقق ثورة المجتمع تجاه غد أكثر عدلاً و إشراقاً (عبدالحليم عباس، ٢٠٠٠: ٢١٨). ينطلق الخطاب البستاني من موقف إيدئولوجي وفكري لا يخرج عن مجالات الإيمان وحرية الفكر والالتزام؛ الالتزام بالوطن والأرض وإنسانها. إنَّ بشرى البستاني ناضلت من أجل الشعب ومن أجل الوطن وقصائدها ظلَّت تزرع الحماس في نفس الإنسان العربي وظلّت تدفع إلى الصمود والمقاومة في ظل التطورات الّتي طرأت على الحياة العراقية وكانت وسيلة ثورية تدعو إلى مجابهة عوامل السلب والانفصال من أجل إقصائها وتهميشها والقضاء على سكونية المكان في لغة شعرية إيحائية تتجلى فيها الملامح الثوريّة الدرويشية.

شهد العراق في زمن حروب الخليج الثلاثة وزمن الاحتلال الأمريكي ترديا في الحياة بكل جوانبها ناهيك بسوء معاملة الناس والإرهاب ونهب الثروات والاغتيالات والاعتقالات وفي ظلِّ هذه الظروف المضطربة انبرت الشاعرة بشرى البستاني تحمل هموم الشعب ونهضت بخطابها الثوري تحمل عبء المسؤولية واتجهت إتجاهاً تثقيفياً توعوية وعند الانشطار بين الماضي والحال، دعت إلى الثورة والرفض للواقع الذي اتّسم بالتفاقم والتأزم وهمت تنير درب مواطنيها وتقوي فيهم الإرادة في زمن الإرغام واحتقار الإرادات الإنسانية برؤية مستقبليّة تنمُّ عن روح متوثبة تبحث عن الحركة والحيوية والدفء والفاعلية في الزمن المتحجر المتردي؛ روح إنسانة تحمل في داخلها قوةً وأصالةً وحرارةً «وحين ترى عالماً مجرماً يتآمر كله لاغتيال شعب

ولاغتيال وطن، تندفع وعلى فمها الكلمة الشريفة وفي يدها السلاح الشريف، لتعمل مع العاملين على انزال آلة الطغيان على عرشه» (قطوس، ٢٠٠٠: ١٠٢). ولم تدخل رغم كل الإنكسارات والترهلات السياسية والإجتماعية دائرةَ الإحباط فنرى بشرى البستاني كلما ازداد المجتمع ألماً وازدادت الثقافة أزمةً تزيد الشاعرة إلحاحاً على خيار المقاومة والمجابهة وتكريساً للأمل والتفاؤل والإيمان بإرادة الإنسان التي تحقّق الأهداف الإنسانية السامية وتخلّص الإنسان من المحن والمكابدات التي مني بها الإنسان المعاصر وتخرجه من الأطر الضيقة إلى الإطار الإنساني الأوسع وتعمل دوماً في خطاباتها على النهوض بالطاقات الإنسانية البناءة التي تحقّق الحلم الإنساني النبيل وتقف بوجه كلّ الإخفاقات والانتكاسات التي تكرّس اغتراب الإنسان المعاصر وتحاول للقضاء على لحظة الضعف الإنساني كما تعمل على تعزيز الشعور بالانتماء في نفوس الشعب والتشبث بالأرض والوطن ما يسهّل الطريق إلى الصمود والمقاومة في الظروف المفعمة بالاشكاليات ويتحقّق به التجاوز من الوعي الفعلي إلى الوعي الممكن والرؤية المستقبليّة التي تطغى مسحتها على جميع خطابات بشرى البستاني الشعريّة والتي مرتكزها الأساس للدعوة إلى الحضور والمقاومة الحضاريين هي التي تكسبها الصدقيّة في المشاعر وفي التعبير وفي التجريب الشعري فالمبدع الذي يمتلك الصدقيّة هو الّذي يحلل الواقع من منظور جدلي ومنظور يعي التحولات الاجتماعيّة، ثمَّ يتجاوزها إلى استشراف المستقبل (المناصرة، ٢٠٠٧: ٤٨). وهذا هو سرّ الحضور المكثّف لإشارات الأمل والتفاؤل في خطابات بشرى البستاني الشعريّة ما ينمّ عن الوعي المتقدم للشاعرة بالوظيفة الشعريّة الّتي تطلب من الشاعر أن يواكب تأسيس الوعي بالواقع المعيش عند المتلقي بالرؤية المستقبليّة التي تعدّ من أهم مفاهيم الواقعية الاشتراكيّة.

١.١ أهداف البحث

من أهمّ الأهداف المؤملة إليها في هذا البحث هو الوقوف على تمظهرات الأمل والتفاؤل في خطاب بشرى البستاني والكشف عن دور الذي يقوم به هذا المسار الإيدئولوجي في مواجهة

عوامل السلب والانفصال والقبض على فاعلياته في الصدام مع السلطة السياسية ودوره في توجيه الشعب إلى المواجهة والتصدي.

٢.١ أهميّة البحث

تكمن أهميّة البحث في أنّه يتناول عنصراً مهماً من أهمّ عناصر المقاومة الحضاريّة التي تنتمي إليها بشرى البستاني ألا وهو عنصر الأمل والتفاؤل الذي كثيراً ما تعتمد عليه الشاعرة وتكثر منه ومن إشاراته في خطاباتها الشعريّة بوصفه وسيلة خلق التشبث بالحياة والتوصل إلى الديمومة عند الإنسان المضطهد العربي والحضور عند اشتغال عوامل السلب والانفصال بواقع الإنسان العربي ووسيلة التحريض للمثول بوجه كل الإخفاقات والإحباطات الناجمة عن طبيعة الصراع مع السلطة الاستعمارية التي عمدت إلى تحطيم فاعليات المكان وما يزيد من أهمية الموضوع هو أنَّ الموضوع فيما يرتبط بخطاب بشرى البستاني الشعري لم يلاقي حقه بالصورة الكاملة في الدراسات الأدبيّة والنقدية ومن هنا أخذ البحث على عاتقه هذه المسؤولية للكشف عن الدور المهم لعنصر الأمل والتفاؤل في المقاومة الحضارية والنضال الوطني لبشرى البستاني.

٣.١ أسئلة البحث

يحاول هذا البحث عبر قراءة استكشافية لخطاب بشرى البستاني أن يجيب عن مجموعة من الأسئلة منها:

١. ما هي أهم مظاهر الأمل والتفاءل في خطاب بشرى البستاني وكيف تتجلى إشارات الأمل في خطابها؟

٢.ولماذا تلتزم بشرى البستاني فكرة الأمل في كل خطاباتها وتؤكّد عليه في ظروف المحنة والمكابدة؟

وأهمّ فرضية هذا البحث الذي أخذ خطاب بشرى البستاني موضوعاً للنقد والمقاربة هي أنّ خطاب بشرى البستاني خطاب ثوري لا نكد نجد فيه مقطعاً يخلو من إشارات الأمل

والتفاؤل ما عند بشرى البستاني هو عنوان الحضور في زمن القهر والبطش واستلاب الهويات الإنسانية واقتلاع الإنسان العربي من وطنه الأم.

٤.١ منهج البحث

وقد اعتمد البحث على منهج الوصفي – التحليلي لدراسة خطاب بشرى البستاني الشعري واتخذ السيمائيّة في التحليل مسارا له لاستنطاق الرموز والدلالات الّتي تبث الأمل والتفاؤل في خطاب بشرى البستاني الشعري.

٥.١ خلفيّة البحث

أما شعر بشرى البستاني فقد استأثر باهتمام النقاد والدارسين وكتبت عنه البحوث الكثيرة نخصُّ بعضها بالذكر: مقالة *شجرة الرمان قراءة تأويلية* (٢٠٠٥م) للدكتور أحمد جارالله والبحث معالجة تأويليّة للمسارات المنعرجة لهذه القصيدة التي تجّسد معاناة المدينة المعاصرة نتيجة وجود عوامل السلب والانفصال التي رمّزت عنها الشاعرة بالعاصفة والتي تجسّد خراب الطبقة المثقفة ومقالة «رؤيا التأويل في قصيدة الحكاية» لفارس عزيز المدرس والبحث عالج وفق الرؤية التأويلية هذه القصيدة من ديوان *أقبّل كف العراق* وقام بدراسة الرموز والدلالات التي تجسّد معاناة الأنوثة تحت العنف الذكوري وتمظهرات التكرار في قصيدة مائدة الخمر تدور لجاسم محمد حاسم ومقالة «شعرية التناص في أندلسيات بشرى البستاني» للدكتور الدباغ والبحث عالج موضوع التناص بأشكاله المختلفة في خطاب بشرى البستاني الشعري في قصيدة «أندلسيات لجروح العراق» وتوصل إلى أنَّ التراث يعّد من أهم روافد شعر الشاعرة ومقالة «شعرية الرمز بين التشكيل والدلالة قصيدة بابل مثالا» لمحمد طيب الحفوظي والبحث ركّز على دراسة الرموز التاريخية والإشارات المعرفيّة لهذه القصيدة والمقالات هذه جمعها خليل هياس في كتاب يحمل عنوان ينابيع النص وجماليات التشكيل سنة (٢٠١٢م) وما لابدَّ من الالتفات إليه هو أنَّ هذه المقالات كانت مضغوطة بشكل لايقدم تصويراً شفافاً عن المحتوى الإيدئولوجي لخطاب بشرى الشعري وكتب فؤاد الرديني مقالة تحت عنوان *المواجهة الحضارية*

في شعر بشرى البستاني وتطرّق الكاتب في بحثه لدراسة العلامات والرموز الحضارية التي وظّفتها بشرى البستاني في شعرها والمقالة مطبوعة بمجلة آداب الرافدين (٢٠١٤م) وكتب أيضاً عن شعر بشرى كتاب *تداخل الفنون في الخطاب النسوي المعاصر شعر بشرى نموذجا* لفاتن غانم فتحي وهو في كتابه هذا تحدث عن السرد وآلياته في خطابات بشرى البستاني كما تحدث عن الفنون السينمائية في شعر الشاعرة وكتبت أيضاً طالبة الماجستير علاهن عبدالأمير رسالة «الرمز في شعر بشرى البستاني» (٢٠١٥م) وهي من متطلبات شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بجامعة ذي قار الاسلامية، والرسالة متكوّنة من ثلاثة فصول، الفصل الأول إشارة إلى الرموز الدينية والتأريخية والأدبية في خطاب بشرى البستاني وفي فصل الثاني تحدثت الطالبة عن الرموز الأنثوية في خطاب بشرى البستاني وفي الفصل الثالث تحدث عن الدور الوظيفي للعتبة العدوانية في شعر الشاعرة وكتبت عن شعر بشرى البستاني رسالة «الصورة في شعر بشرى البستان» (٢٠١٤م) وهي رسالة ماجستير كتبها نورالدين عبدالرزاق بجامعة ديالي بالعراق والكاتب تحدث في رسالته عن التشبيه والمجاز والاستعارة والرمز كما كتبت مقالة «مظاهر المقاومة في شعر بشرى البستاني» بقلم غلامحسين كهوري وسردار أصلاني في فصلية لسان المبين سنة (١٣٩٥ش) والكاتبان تطرّقا لدراسة موضوع الشهادة وتنديد الأنظمة المنحازة إلى العدو وقضية الالتزام وحبّ الأرض وفرادة بحثنا هذا تكمن في أنّه لم تكتب حتى الآن دراسة مخصصة عن موضوع الأمل في شعر بشرى البستاني والبحث يعالج هذه الاستراتيجية الفكرية بالفحص والتحليل ليقدِّم رؤية شاملة عن هذه الاستراتيجية الفنية التي تعتمد عليها بشرى البستاني وترتكز عليها دوماً في منطقة التلقي لتخفِّف بها ثقل العذاب عن مواطنيها لئلّا يركنوا للوهن واليأس ما يقودهم إلى الهزيمة والضياع عند بشرى البستاني.

٢. الأمل والتفاءل في خطاب بشرى البستاني

شعر بشرى البستاني ذو طابع إنساني يظهر فيه الصراع السرمدي بين الحياة والموت. كانت المدن العراقية في زمن الاحتلال غارقة في الركود بكل أشكاله وتلاحقت المحن من إعدامات وقتلى واعتقالات وسحق الحريات وكانت بشرى البستاني تبحث في ظروف المحنة والمكابدة

عن طريق لإنقاذ للعراق ولكلّ العالم العربي. إن الأحداث المأساوية التي عصفت بالعراق والتي غيَّرت خارطة البلد السياسية، قد ولَّدت في نفس بشرى البستاني مشاعر الخوف من ضياع حضارة عمرها الآلاف السنين، فمضت عبر التجربة الشعرية أن تمارس دورها النضالي في سبيل حفظ الحضارة الآشورية وفي سبيل تحقيق الأهداف والآمال الوطنية. تحاول بشرى البستاني في خطابها إعلاء قيمة الإنسان العراقي وانتشاله من هوة الذلّ والهوان وخلاصه من الاستيحاش الداخلي وتحاول لتزرع الأمل المتلجلج في نفسها في نفس الإنسان العراقي المعاصر لتمكِّنه من المقاومة والصمود ما يردم شروخ المجتمع عند بشرى البستاني ويستعيد للمكان فاعليته وتوهجه ويلمّ تبعثرات المكان ويمحي الشعور بالاغتراب عند المواطن العراقي في ظروف المحنة والمعاناة و يمنعه من الغرق في تخوم الضياع والتيه.

قالت الشاعرة: لا أحبّ الصراع لأنّه قد يؤدي إلى الصدامات والخسائر الفادحة ولا أحب الصدام لأنّه يعطِّلُ مشروع الحياة المبجَّل، لكن حين يصادمنا الآخر ويصارعنا بإصرار وعدوانية فنحن لا شكّ مضطرون للمواجهة و التصدي بما نمتلك من قدرة على المقاومة والرفض ونحن عند عدوان الآخر أمام خيارين، إمّا التمرد والرفض والمقاومة وإمّا الانسحاب وعند ذلك نجد القيم الإنسانية مهدورة ومقهورة بالعنف والغباء والتحجر وتشتيت الإنسان والمقاومة هي النهج الأفضل إذ «إن المقاومة في ظروف التحجر والتشظي هي الطريق الذي يؤدي بالإنسان إلى مجده وعزته وكرامته وهي التي تصنع الغد الناصع وتعيد للمكان حقوقه وهويته الضائعة التي تؤكدها أشلاء الضحايا كل يوم وشلالات الدماء التي تنهمر» (القميحة، ١٩٨١: ٢١١). إذن المقاومة عند بشرى البستاني هي عنوان الحضور وهي التي ترسي سفينة الوطن الموجوع في شاطيء الأمان ولهذا نراها في خطابها تحرّض دوماً على المقاومة والصمود وتكرّس من إشاراته وفي مقابلة أجراها معها الدكتور عصام الشرتح قالت: «أنا أقاوم وأدعو للمقاومة ولا أسمح لليأس من الاقتراب نحوي ولا المساس بمشاريعي، بل كانت المقاومة ومازالت هي سلاحي المهم الَّذي أواجه بها بؤار الحياة ويبابها وأواجه بها الغدر بحلم الإنسان المسالم، حالمةً بالغد الأجمل والأكثر حضوراً وإشراقاً بالرغم من عتمة الحاضر وتكالب الطغاة على ما لا حق لهم» (شرتح، ٢٠١٢: ٧٨). وليس الطريق إلى المقاومة عند

بشرى البستاني إلّا التشبث بالأمل الذي يدفع للحفاظ على كل تلاوين الحياة ويوجه الشعب العربي المقهور وسط تلافيف الموت والخراب إلى التصدي ومواجهة عوامل السلب والانفصال والركون للضعف واليأس والانكفاء على النفس والانغلاق على الهموم هو الّذي يفسح المجال لهيمنة عوامل السلب والانفصال، وهو أخطر وأعتى من عوامل السلب والانفصال على مستقبل الأمة ولهذا نراها في خطابات كلها تبث دوماً إشارات الأمل بالغد المفتوح المتوهج وذا الفاعلية بوصفه وسيلة للحفاظ على حلم الإنسان العربي الذي شرب ولايزال من كأس العذابات والآلام الناجمة عن الأطماع الخارجيّة.

١.٢ بثّ الأمل والتفاؤل بالإشارات التراثيّة

إنَّ التراث يعدُّ من أهم روافد خطاب بشرى البستاني الشعري وحضور التراث في خطابات الشاعرة وسيلة لتغذية منطقة التلقي. فقد أقامت الشاعرة الصلة بين شعرها وبين التراث والمرجعيات القديمة وذلك لما يكمن فيه من القدرة على تفعيل طاقات النص الشعري والقدرة على إضفاء الجماليّة والموضوعيّة على النص الشعري وعلى إيدئولوجياته. فقد جعلت بشرى البستاني في بعض الأحيان الإشارة التأريخية بما تضفي عليها من الديناميكيّة في الدلالة مرتكزاً لبثّ الأمل والتفاؤل بالإشارة إلى حتميّة تجاوز المرحلة الزمنية الراهنة كما فعلت في قصيدة «أندلسيات لجروح العراق» من خلال لفظة الجب الّتي تعيدنا إلى قصة يوسف النبي:

> تسائِلني الأسلحةُ العزلاءُ عن السرّ/ وَ أسألها عن نبض الفجرِ/ وَأحثُو عند خزائن بغدادَ و آشورْ/ أمسِك قلبي من وجع التفاحِ/ وأبحث عن سيارة أهلي/ أسأل غصنين ينامانِ/ على صدري .../ عن سر الجبل الصامت في قلب الصحراءْ (البستاني، ٢٠١٢: ١٠٣).

تنعكس هذه المقطوعة البانورامية أحاسيس الرفض وعدم الاستسلام الذي تتجلى فيها غربة الشاعرة ولا نعني بالغربة هنا معناها اللغوي بل معناها الاجتماعي، وهو الانسلاخ عن الواقع الفاسد والاستياء منه والعداء والتصدي له والمحاولة لخلق بعض التغيرات فيه وهذه الغربة غربة إيجابية ولا تؤدي وظيفة سلبية تبعد صاحبها عن المشاركة في تحمل المسؤولية وأعباء الحياة (قميحة، ١٩٨١: ٣٩٥). وهذا ما يوحي به الحضور المكثف للأفعال المضارعة الحركية

في هذا النص والمفردات التي تحمل التصورات الإيدئولوجية والتي توحي بالرفض والتمرد على جبروت السلطة وبطشها.فقد تشكّل الأفعال هنا دائرة دلاليّة تجسد معاني الرفض والتمرد على السلطة الأمريكيّة وضعف الإرادة العربيّة التي كانت متسمة بالمقاومة والتصدي ودحر المستعمر الغازي لكنّ الآن خبت جذوة المقاومة في العراق.

إن مفردة التفاح هنا تحمل دلالات الندم والخطيئة وتعبّر دلالياً عن عدم انتكاس وارتكاس الشاعرة عن قناعاتها الإيدئولوجيّة التي ترتبط بالرفض والجبل هنا يرمز به شموخ العراق الذي خيّم عليه حالياً الصمت/ الموت وسؤال الأسلحة عن السر هو سؤال عن سرّ هذه الحياة التي كانت مفعمة بسحر الديمومة والنشوة الأبدية وغدت الآن مناخاً للحزن والعذاب وسؤال الشاعرة عن الفجر سؤال عن الخلاص والانبلاج والبحث عن السيارة وهو تشكيل تناصي، هو البحث عن سبيل لإنقاذ العراق والغصنين هنا الدجلة والفرات الذان يضمان العراق من شماله إلى جنوبه وكانا شاهدين للإرادة العربية التي لجأت إلى الصمت عند العدوان وعند التفاف الإمبريالية الأمريكية والحوارية بين الذات الشاعرة والأسلحة التي لا حراك لها تعبير عن طموح الشاعرة لاختراق الصمت الذي حاق الأرض العربيّة. إنّ النص رغم ما أحدقه من حافة اليأس و فضاء الغياب إلّا أنّه لا يخلو من إشارات الأمل بالمستقبل الذي يدفع إلى الصمود والمقاومة ومن ذلك مفردة الجب وهي هنا تناص بنيوي مع *القرآن الكريم*. قال الدارسون لخطاب بشرى البستاني إنّ اختيار ملمح الجب من بين ملامح يوسف (ع) بما تحمله من سمات التفرد والثراء ولما فيها من إحالة أسلوبية إلي البراءة والعفوية والمعاناة في وسط زمرة من المتآمرين الذين اكتفوا بأقل ما لديهم من امكانيات للفتك به فأخذوه من بين يدي والده المحب له، ورموه في البئر، جاء في شعر بشرى البستاني للتعبير عن غربة الشاعرة في المكان وخلق معادلاً للوطن وما فيه من مصادرة الحريات والبطش والقسوة والهمجية (الخلي، ٢٠١٢: ١٠٢-١٠٣). وللتعبير عن فعل الخيانة والمؤامرة. فتوظيف الجب تراصٌ دلالي جاء لتعرية الواقع المعاصر الذي أصبح فيه «مناخ التزييف والتضليل والتآمر يعشعش في كلّ جبناته كما يجسّد تأمر الدول العربية وتقاعسهم بالتبريرات الزائفة أمام السطو العدواني الذي تمارسه السلطة الأمريكية ضد الشعب العراقي» (هلال، ٢٠١٠: ٢١٨-٢١٩). وأرى

أنّ مفردة الجب ظاهره الرؤيوي يؤميء بالانغلاق ويعيد إلى الفضاء المنغلق لكن الوعي السيمائي بهذه اللفظة يؤمي بالانفتاح والانعتاق والتوصل إلى السمو وفي توظيفها تأكيد على حتميّة تجاوز الحاضر التعيس ومن هنا إنّ الجب يحمل إشارات الأمل والتفاءل وما يعزز هذا المعنى هو دلالات السياق النصي للخطاب والعتبات النصية من مثل عنوان المخاض في ديوان أندلسيات ومن مثل العتبة العنوانيّة الفرعيّة على غلاف الديوان وهوالإهداء إلي ورد عراقي الذي سيطلع وهو يشكّل عنوانا فرعياً لديوان *أندلسيات لجروح العراق*.

الجب يشبه آلام المخاض حيث تكون نتيجتها ولادة جديدة ونتيجة الجب لم يكن ليوسفَ إلّا العزة والمكانة ولم يكن نتيجة الاحتلال إلّا خروجه من المحنة والسير في ركب الحضارة واستمرارية دورة الحياة فيها كما حصل ليوسف حيث نال العزّة والمكانة فتوظيف الجب بهذه الدلالات وبما يرتبط به من المعاني والدلالات في وعي المتلقي يغرس الأمل في نفوس الشعب ويبشّر بخلاص العراق وانفراجه ومن هنا أنَّ لفظة الجب ترسّخ الصمود والمقاومة في نفوس الشعب وتدعو إلى نبذ السكونيَّة والاستسلام للنيل إلى الانفتاح من وراء الأسوار والقيود فالجب يمنح فرصة للأمل أن يتسلل إلى الحياة الميتة وسط هذا الجو الخانق الميؤوس؛ كما شق طريق يوسف إلي العزة والمكانة ونرى أنّ الجب بهذه الدلالة تتضافر مع الفكرة العقائدية للشاعرة وما جاء في سياقات القصيدة في كل المقاطع، فالجب أو الدوامة الأمريكية لا تدوم، والاحتلال ينتهي ويواصل العراق فعله الحضاري الخلاق كما نال يوسف العزة والمكانة بعد أن كان في غيابات الجب ومثل هذه الدلالة نجدها في توظيف لفظة القميص:

> قميصُ حبيبي في أعلى الدبابة/ أعدو خلفَ عبيرِ العرق المتصبّب من كتفيهِ/ حبيبي يركض خلفَ رُواق أخضرَ/ خلفَ شتاءِ صهوته الحبُّ/ و صبوتهُ الطيرُ الواكنُ العشّ (البستاني، ٢٠١٢: ١١٥).

وتبث هنا الشاعرة إشارات الأمل والتفاؤل بتوظيف مفردة القميص من السياق القرآني ومن سورة يوسف (ع) وحضور القميص وهو يتناص مع ما جاء في سورة يوسف (ع) «إذهبوا بِقَميصي هذا فَألقُوهُ عَلى وجهِ أبي يأتِ بَصيراً» (يوسف: ٩٨) معطٍ سيميائي يبعث على الأمل والتفاؤل عند المتلقي وهو كما كان وسيلة إزاحة الحزن عن يعقوب والسبب في

رجوع بصره، إنّ حضوره في هذا النص الشعري جاء تأكيداً على الانتصار على قوى البغي والعدوان؛ إذن إنّ القميص هنا يمتلك الطاقات السيميائية تبعث على الأمل والتفاؤل برجوع فاعلية المكان وحتمية الانتصار على المحتل وعودة الحياة إلى نضارها الأولي كما رجع البصر إلى يعقوب وما يعزّز الحضور الدلالي للقميص على أعلى الدبابة هو لفظة الشتاء التي ينبعث منها الأمل والتفاؤل فالشتاء في صورته الظاهراتية اللكسيمية تدلّ على فصل من فصول السنة والوعي السيميائي بهذه اللفظة يعيد إلى أنّ لفظة الشتاء وإن تدلُّ ظاهراتياً على واقع العراق المتّسم بالجمود والسكونيّة لكنّها جعلها معادلاً لواقع العراق المتسم بالجمود والسكونية يجلب إلى الأمل والتفاؤل من خلال حتمية إردافها بالربيع وهو يرتبط بالزهو والتفتّح والانبعاث فالعراق المعاصر رغم أنّه يتخبّط في الجمود والعقم والسكونية نتيجة اشتباك عوامل السلب والانفصال بالواقع العراقي لكنّه يتوصل إلى الديمومة والحركة والاستمرارية والاخضرار كما يأتي الربيع بعد الشتاء.

٢.٢ الأمل والتفاؤل وتجربة الحب

فقد التزمت بشرى البستاني فكرة الحبِّ بوصفها وسيلة لمواجهة عوامل السلب والانفصال المشتبكة بواقع الإنسان العربي كما فعلت غيرها من الشعراء والشاعرات العراقيّة حيث كان الشاعر العراقي يلجأ إلى الحب ويجد فيه الملجأ والملاذ من العذابات والإحباطات الّتي نجمت عن طبيعة الصراع مع السلطة السياسية والحب ليس هنا الحبّ الرومانسي الّذي ترتبط بالحزن بل هو القوة الكونيّة التي تحقق الخلود ويحقق الانتصار على عوامل الموت والعنف إسمعها تقول:

> دبابات الموت تدورُ/ تُداهمني عيناك/ بريقٌ أخضرُ يغزوني في عزِّ الليلْ/ أفتحُ بابي/ يدخلُ عطرك/ يكبرُ/ ينشرُ أجنحةَ التفاحْ/ هوى الألواحُ على مائدةٍ ظمأي يشتعل الوردُ برمل الحزن/ و أردانِ النخلْ/ و يغادرني المحتلْ (البستاني، ٢٠١٢: ١١٦).

تكرّس الشاعرة إشارات الأمل بالخلاص من خلال التزام فكرة الحب؛ إنّ الحب يندغم مع الثورة وهو ينتشل المكان من الهوة ويمنحه الفاعلية لأنّه هو الذي بإمكانه أن يبعث الحيوية

والدفء والأمل في كل كائن يتنفس عطر الحياة وبدونه تتحول الكائنات إلي هياكل مجردة من كل معني؛ فالحب إذن لم يكن قضية ذاتية لأن حضوره رديف للسعادة الإنسانية وهو رمز للخلود والإحياء وهو الّذي يضخ الحياة في الكون ويجعل الإنسان يتطلع إلى الغدالناصع بالأمل والتفاءل «فبالحب يزدهر المكان ويسود منظومات القيم الجماليه فيه وينمو نموا جديداً بعيداً عن أمراض الحقد والاشكاليات التي تحاصره» (عابد، ٢٠١١: ٣٨). ويستطيع أن يعيد للمكان فاعليته وتوهجه ويحاصر الإخفاقات بالتّطلع عندما يواجه عوامل السلب والانفصال وما يزيد النص عمقاً وثراءً هنا والذي يؤكد دلالات المنبعثة من التزام فكرة الحب هو الحضور المكثّف للأفعال الحركية فحركية الأفعال في هذه اللوحة تنمُّ عن إيمان الشاعرة بحتمية فاعلية الزمان والمكان وهي توحي بحتمية الانتصار على عوامل السلب والانفصال وانتهاء ثقل الزمان والمكان من خلال وجود الحب بين الذات والمكان والتواشج بينهما.

فالتواصل بين الذات والأرض هي الّتي تجعلها تواصل سيرورتها الدائبة وتعيد لها طريقها السليم نحو تحقيق الأهداف المنشودة وتفتح أبوابها لتواصل فعلها الحضاري فنشر أجنحة التفاح وأرادت بها الحياة والخلود لا يتحقق إلّا من خلال حب الوطن فهو الذي يضفي صفة الخلود أو الديمومة على الإنسان والمكان معاً:

تهوي الألواحُ على مائدةٍ ظمأي/ يشتعل الوردُ برمل الحزن/ وأردانِ النخلْ/ ويغادرني المحتلْ

الألواح إشارة إلى الحضارة السومرية؛ الحضارة السومرية حضارة الألواح مع فن النحت (الثور الآشوري) الّذي صار رمزاً للعراق وحضارته في تشكيله الأسطوري وهبوطها على المائدة الظمأي يصور إرهاصات الثورة والخلاص وظماء الألواح هنا تعبير عن طموح الحضارة العراقية لمواصلة رسالتها الحضارية وفعلها الحضاري بتحررها من القيود والأغلال:

تهوي الألواحُ على مائدةٍ ظمأي/ يشتعل الوردُ برمل الحزن/ و أردانِ النخلْ

النص هنا يوحي بقيام صراع محتدم بين عوامل الموت المتمثلة في الدبابات والحياة وينتهي الصراع بين عوامل السلب والانفصال وعوامل الإيجاب بتوهج الفاعلية والحياة ابتداءً ما تعبر عنه الشاعرة بفعل «أفتح» وما أكده هو انتشار أجنحة التفاح الموحي بالخلود وسقوط الألواح التي ترمز بها حضارة العراق العريقة على المائدة الظماء وهي ترمز به السلطة الأمريكية

التي عمدت على أمركة العراق ونهب ثرواته والتشكيل يوحي بانتصار الحياة على عوامل السلب والانفصال ومواصلة العراق فعله الحضاري الخلاق وكلّ ذلك يحدث مع دخول بريق الأخضر وعطر الحبيب، حيث يتحول اليأس إلى الأمل بخروج المحتل وعودة النخيل الرامز به العراق إلى شموخه الأولي أي غلبت في اللوحة عوامل الإيجاب على عوامل السلب والسكونية بفعل الحب (فتحي، ٢٠١٥: ٦٣). وهو السبب في اشتعال الورد، والورد يرتبط في مخزون الوعي الجمعي بدلالات الحياة والسعادة ما يتحقق بالحب ومثل هذا المعنى نجده عند الالتقاء الحبيبين في المقطع الآتي بعد هذا المقطع وضم الحبيبةِ الحبيبَ إليها وسط عباب العصف وتحت نيران الحرب حيث انفضّ الغربان الرامزة بها السلطة الأمريكة من المكان بسبب وجود الحب، القوة الكونية التي تبدد الحزن وتحاصر كل الإخفاقات والانكسارات بالتطلع إلى الغد الناصع وتدحر السلطة الطامعة المتمثلة في الغربان:

ضُميني قالَ لها/ فانهمرَ البجع الأبيضُ من عينيها/ وتواري الغيم/ قالت خذني/ وانفضَّ الغربان ... (البستاني، ٢٠١٢: ١٢٠).

وترى الشاعرة في قصيدة «طيور لشجراميس» أنَّ التماهي بين الإنسان العربي والأرض هو السبيل إلى الخروج من المحنة والمكابدة والتوصل إلى التوهج والإنفتاح:

صراخ الأرض يصدِّع كاس امرأةٍ/ في قلب العتمة والخمرة قنديل/ .../ غرق البحرُ برمل الصحراءِ/ ففاض الرمل على وجه الماء/ واصطفَّ الشجر الأخضر في قافيةٍ/ مال الزمن الآخر تحت السعفة/ إشتعل الثمر (المصدر نفسه: ٢٩٢).

والخمرة ليست الخمرة المسكرة بل هي تعبير رمزي عن التماهي بين الأرض العربية وإنسانها وهذا التماهي بينهما هو الذي يحقّق التوهج المتمثل في القنديل للمكان والإنسان ويعيد إلى المكان فاعلياته ما تعبر عنه الشاعر بغرق البحر برمل الصحراء والبحر رمز الحركة والاستمرارية وفي اصطفاف الشجر الأخضر والدالّ اللوني يدلُّ على الحياة وفي حركية الزمن تحت السعفة التي تتضمن إشارة حضارية وقالت في قصيدة «النخيل»:

هي الأرض مصلوبة بالرياحِ/ ومحكومةٌ بالأنين/ ولكنّها تستجيبُ إذا الحبُّ داهمها (المصدر نفسه: ١٨٧).

صلب الأرض بالرياح يكشف عن فعل الخيانة والمؤامرة والصلب يعيدنا إلى الحدث التراثي وهو خيانة يهوذا الاسخريوطي فالأرض العربية وقعت ولاتزال ضحية الخيانة والمؤامرة والخيانة هي السبب في سقوط الأرض العربية كما حدث في الأندلس بعد خيانة أبي عبدالله الصغير وسقوط *غرناطة* وحدث في العراق بعد خيانة العلقمي الوزير وسقطت *بغداد* بسبب خيانته عند هجوم التتر وهذه الخيانة تعبّر عنه الشاعرة بلفظة مفاتيح القضية في ديوان *أندلسيات* واسمية الجملة في هذه اللوحة تعبير أو تأكيد على استمرارية الخيانة والمؤامرة ضد العراق لكن ما تؤمن به الشاعرة رغم معاناة الأرض العربيّة بالخيانات والمؤامرات هو أنَّ القوة المحركة لنهوض هذه الأرض الّتي تعاني من المؤآمرة والخيانة هي الحبّ والاستجابة هي النهوض ومواجهة عوامل السلب والانفصال وهي تتحقّق عند وجود الحبِّ وهو الذي يعيد إلى الأرض فاعليتها والأرض العربيّة تنهض وتواصل فعلها الخلاق الحضاري رغم ركام الخيانات والمؤامرات التي كانت ولاتزال تلفّها إسمعها تقول في قصيدة *مائدة الخمر تدور*:

أحبك/ كي ينهضَ نخلُ الأرضِ/ ويشتعلُ الكون (المصدر نفسه: ١٥٣).

وفي قصيدة *بغداد*:

تحطّ الطيور على سورها/ تتأهّب للشدوّ/ على شطِّها يكتب الحب أمجادهُ/ وتدور الفصول/ قلبي يخطط فوق حرائقها مشهداً لوليمة فجر يؤسس صخرته (البستاني، ٢٠١٢: ٣٥).

والطيور هنا رمز أبناء الشعب العراقيين وهبوطها على سور بغداد وهي تتأهب للشدوّ أي الغناء، تجسيد شعري عن فضاءات الحرية والانعتاق التي تعود إليها الأرض والحرائق في هذه اللوحة الشعرية تعبير عن أصالة الإحياء والانبعاث الفينيقي الذي يتمتّع به العراق فالعراق هو الذي خرج عن كل المحن والمكابدات التي انثالت عليه على مرّ العصور وما أثبته التأريخ هو زعزعة كل عوامل السلب والانفصال أمام الأصالة العراقية والصخرة هي إدامة المقاومة وهي تعيدنا إلى المقاومة السيزيفية في المرجعية الأسطورية ودوران الفصول هو استمرارية دورة الحياة في العراق وهذه الاستمرارية هي المحصّلة النهائية للأقانيم الثلاثة التي تؤمن بها بشرى البستاني وهي التي تجلب العراق للحياة والخلاص والحرية واستمرارية الفاعلية:

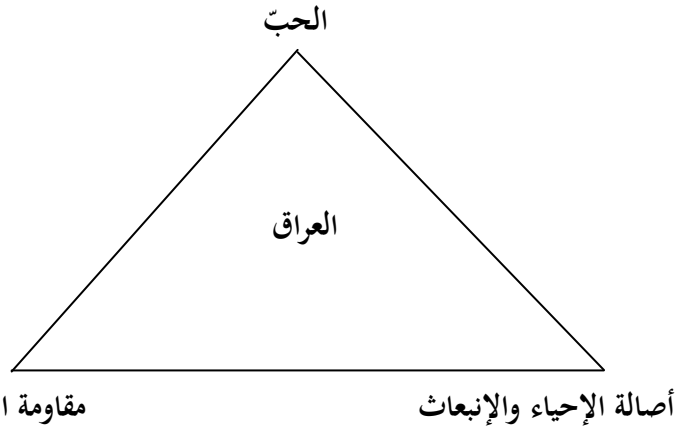

٣.٢ المواجهة الحضارية

من أهم مراكز الاستقطاب الدلالي الباعث على الأمل والتفاءل في خطاب بشرى البستاني الشعري هو المواجهة الحضارية بين المكان والسلطة فما تكثر منه الشاعرة هو المقارنة الدلالية بين السلطة الأمريكية وبين العراق على طريقة التجمع الخطابي للإشارة إلى الخواء الحضاري للسلطة ما ينبعث منه الأمل والتفاؤل في نفوس الشعب:

> الطُحلُبُ كدَّر صفو الماءْ/ تبكي دجلةُ في قلبِ الليلِ/ زفيرُ الثُعبانِ يريق النارَ/ على أعمدة الكونِ/ سريرُ العنقاءْ .../ محمولُ بيدِ الزوبعةِ الصفراءِ/ وقلبُ الليلْ/ ينزفُ أندلساً أخري ... (المصدر نفسه: ١١٠).

المواجهة تشكلت من التجمع الخطابي Discurisive_configuration في النص بين المكان وبين عوامل السلب والانفصال. المواجهة بين الطحلب وهو نوع من الأعشاب القصيرة ينمو في الماء والتي تطؤها الأقدام و هو هنا معادل رمزِي للسلطة الأمريكية يحمل دلالات الضعف والخواء للسلطة الأمريكية الّتي لا يتمتع بحضارة و أمجاد والماء هو الحضارة العراقية العريقة التي عنوان للحركة والحياة بدلالة قوله تعالى: «وَجَعَلْنا مِنَ الماءُ كُلَّ شَيءٍ حَي» (الأنبياء: ٣) والمواجهة نلاحظها بين زفير الثعبان والأعمدة رمزاً للعراق الحضاري وبين العنقاء التي ترمز بها في المخيال الذاكراتي بالحياة والفاعلية والاستمرارية وبين الزوبعة رمزاً للسلطة الأمريكية التي تتسم بعدم الاستمرار والدوام؛ فالشاعرة في هذا المقطع الذي يصوّر الوضع القاتم المأساوي

للعراق في ظلِّ السلطة الأمريكة تحاول خلال تصوير تفوق العراق حضارياً على المحتل لتخلق له متنفساً من الأزمة النفسية الناتجة عن الانهيارات والانتكاسات بثّ الروح الأمل والتفاءل وما يعزز الأمل المنبعث من الإشارة إلى الخواء الحضاري للسلطة الأمريكيّة هو وصف الزوبعة رمزاً للسلطة الأمريكية التي تتسم بعدم الدوام والإدامة بالصفراء والدال اللوني هنا يبشر بخروج المحتل وضياع سطوته على العراق باللون الأصفر هو اللون الذي يغطي الموتى ومن هنا حضوره في هذا النص الشعري يبعث على الأمل والتفاؤل من خلال الإشارة والإيذان بموت السلطة ومثل هذا نجده في وصف المكان وهو العراق بقلب الأرض ووصف الطلقات بالخلّب اشارة إلى خواء السلطة الأمريكيّة مقابل حضارة العراق العريقة:

تطلُعُ من عينِ غزالٍ/ زنبقةً تُطفئها الشمسُ/ غبارُ الطلقاتِ الخلب يوجعُ قلب الأرض (البستاني، ٢٠١٢: ١١٠).

٤.٢ أصالة المقاومة

ممّا يبعث على الأمل والتفاؤل في شعر بشرى البستاني هو حضور بعض الرموز الحضارية المكانية والإشارات المعرفية التي تتمتّع بالفاعلية والحركة وتصوير المكان في صورته المشاكسة التي تعبّر عن أصالة المقاومة التي يتسم بها المكان:

فوق الدبابةِ رفَّت سعفةُ نخلٍ/ وسؤال/ يستدرجُ من قلب الطينِ طيورَ الحبِّ/ يناولُني كأساً صفراءَ/ الأرضُ مشاكسةٌ/ والسيرك/ تحركه الزوبعة السوداء/ هذا ما قالته إمرأةٌ/ لن أستسلمَ ... قالتْ/ وانبثقَ الماء الأخضرُ/ من كفَّيها ... (المصدر نفسه: ١٢٥).

والملاحظ على النص الشعري يرى أنّ الشاعرة وظَّفت هنا الإشارة الحضارية المتمثلة في سعفة النخلة التي حضورها هنا تعبير عن الحضارة العراقية التي كانت متسماً بالتجدد والإبداع والسعفة إشارة إلى الكتابة التي ظهرت لأوّل مرّة في الحضارة الآشورية ورفوف السعفة بهذه الإشارة على الدبابات يؤكّد على حتمية مواصلة الفعل الحضاري ومشاكسة الأرض/ مقاومة الأرض على طريقة الأنسنة في هذا التشكيل الشعري يعبِّر عن حقيقة تؤمن بها الشاعرة وهي أنَّ الأرض عند بشرى البستاني ترفض أن تكون مصدر الخير للطامع الغازي بل الأرض ترفض

من احتلَّ ترابها وتكافح مع أهلها عوامل السلب والانفصال والإشارة إلى مشاكسة الأرض تعبيرٌ عن أصالة المقاومة والحضور الّتي كان العراق متسماً بها وهذا هو الّذي يحقّق لها الحضور وحتمية التوصل إلى الخصب والنماء ما يعبِّر عنه الدال اللوني في اللوحة ومثل ذلك نجدها في تصوير حركية دجلة رمز المكان وارتعاب الجند الأمريكي من فوح شذى يطلع من الصخر الذي وظفته بشرى البستاني رمزاً للعراق وفي توظيف الصخر وبحثه عن القمر للفلوات تعبير عن أصالة المقاومة الّتي يتمتّع بها العراق:

دجلة تزحف في كبد النيرانِ/ فيرتعب الجندُ/ من فوح شذي يطلعُ من وجنات الصخر/ يجتاح حرير الما/ أطراف الربيع المقفل/ يبحث عن قمر للفلوات/ و عن سرّ للفعلْ/ كي ينجو هذا الحجر المعقودُ/ على جبهاتِ الغدْ (المصدر نفسه: ١٢٧).

ونجدها في قصيدة «في حديقة العراق» توظّف شخصية الإمام حسين (ع) رمزاً للرفض والتمرّد والريح رمزاً لهوية الرفض والتصدي التي كان العراق متمتّعاً بها. فالعراق أرض الحسين وصوت الحسين لايزال على المنابر والمآذن مما يعبر عن أصالة الرفض والمقاومة العراقيين وقبلة الشعب العراقي هي الريح أو الرفض ومن هنا لايرضخ أصلاً أمام جبروت الطغاة ويقف شامخاً أمام عوامل السلب والانفصال التي عمدت إلى تحطيم فاعليات المكان:

آشور ينهضُ/ عائد آشور/ والعربات في الضحى تحملُ إكليلها/ أنهارك المحروقة الكفين تورق في المقل/ صوت الحسين على المآذن/ ومعابرٌ وبدائلٌ/ يبقى العراق هويةً وهديةً/ يبقى الفرات طريقهم للموت/ تبقى الريح قبلتنا (المصدر نفسه: ٣٠٣-٣٠٤).

ومثل ذلك نجدها في تصوير تكسير عصف الصاروخ القادم من الطائرة الكابوجية وتصوير شرب الأرض لذعر الأطفال بوصفهم بذور الثورة على طريق تراسل الحواس ومنحهم عطرها:

يبعثرني النومُ على أشلاء الفجرِ/ أكسِّرُ عصف الصاروخ القادم من طائرة الكابوجي/ أشرب ذعر الأطفالِ وأمنحهم عطري (المصدر نفسه: ١٦٣).

وأصالة المقاومة الباعثة على الأمل والتفاؤل نلاحظها في المقطع الأخير من قصيدة «أندلسيات لجروح العراق» حيث تربط الشاعرة بين المقاومة العراقية والمقاومة الفلسطينية بالإشارة إلى التماهي بين بغداد وعكا المدينة الفلسطينية:

أخبىء جرحي في قلبِ ضميرِ الخيمةِ/ نهرانِ يدورانِ على جيد البستان ... يصلانْ/ بغدادَ بعكا ... مرهقةٌ بغدادُ/ و مجروحٌ معصمها/ سرُّ الرمانِ على وجنتها/ يذبلُ في الأصفادْ (المصدر نفسه: ١٣٢).

رغم أنّ كثير من الدارسين لشعر بشرى البستاني يرون أنّ نهاية قصيدة «أندلسيات لجروح العراق» نهاية مأساوية إلّا أنني أعتقد أنه الأمر ليس كذلك أصلاً بل أرى أن المفردات والبنى النصية هنا تعكس ومضات الأمل بالانتصار والخروج من المحنة والمكابدة والنهاية هنا نهاية مفتوحةٌ تلوح فيها تباشير الأمل والتفاؤل بخروج المحتل فرغم الضعف الذي آل إليه المكان العربي وهو ما يجسده جرح معصم العراق والمعصم جزء من اليد، واليد مجاز مرسل من القوة، لكن النهاية عند بشرى البستاني للعراق والنهاية ليست إلّا خلاص العراق من المحن والمكابدة. هنا تربط بشرى البستاني قضية فلسطين بقضية العراق وذاك من خلال التواصل بين عكا المدينة الفلسطينية والعراق بدجلة والفرات، أوليس هذا الاتصال بين العراق وفلسطين وهو بالنهر الذي رمز للعبور موحياً بالإفراج والخلاص في العراق وفي فلسطين؛ صلة بغداد هنا بعكا صلة مدروسة من قبل الذات الشاعرة، فعكا استعصت على الاحتلال الفرنسي عام (١٧٩٩م) وأحبطت خطط نابليون في الشرق العربي صلة هذه المدينة ببغداد هنا يوحي بخلاص المكان العربي إذ ماضيه عارم بالمقاومة ودحر العدوان: «إنّ ومضات الأمل انتصرت في سياقات القصيدة فالإرهاق يزول بقليل من الراحة والجرح يشفى بالدواء والعناية والدواء هنا عزيمة وإرادة واستعانة بوساء المقاومة إذ إنّ الذبول يعقبه الإزدهار والأصفاد لا تدوم لأنّ التأريخ يعلمنا أنّها ستؤول إلى التكسر وانحلال عبر الزمن أمام تصميم الشعوب وانطلاقتها وفي هذا دلالة على أنّ الشاعرة مؤمنة بالإنتصار في كل كلمة تقولها و في كل سطر تكتبه» (الرديني، ٢٠١٤: ٢٧٣). لأنّ هذا الإيمان هو ما يقود الإنسان إلى التشبث بالحياة والمقاومة والصمود بوجه كل الإحباطات والانسحاقات والإجهاضات ومن هنا لا يخلو النص الشعري عند بشرى البستاني من إشارات الأمل والتفاؤل والرؤية المستقبلية التي تحفّز الإنسان للمثول بوجه عوامل السلب والانفصال والمقاومة بوصفها عنوان الحضور وما يكمن فيها سرّ الديمومة والاستمرارية تتحقق بالأمل والتفاؤل ولهذا تكرّس الشاعرة الشعور بالانتماء إلى الأرض وتؤكّد على حتمية الانتصار على عوامل السلب والانفصال ما يدعو إلى الصمود والمقاومة ما تشير

إليه الشاعرة عبر رؤية صخرة القدس وفيه إشارة إلى المقاومة الفلسطينية وفي كتابة الحزن بالليل ولعل أو من الأفضل أن نقول إنّ الشاعرة ترفض في هذا التشكيل وتندد العجز أمام العدوان وتؤسس إرادة المقاومة في نفوس المتلقين بالدعوة المضمرة إلى المقاومة المتمثلة في صخر القدس وهكذا في إخباء الجرح حيث تبشِّر الشاعرة بالانبثاق الجديد والتمكن من المواجهة والاستمرارية عند عدم العجز أمام المحتل الغازي وهو ما يطلبه المكان الموجوع الذي يعاني من الاحتلال والقهر والبطش وهو ما يتحوَّل به الدمع وهو الدال الشعري على الضعف والترهل إلى الشهادة بقرينة الدم ما كفيلٌ بخلاص الوطن والعطش إشارة إلى توق الأرض لتمكِّن من الفاعليّة والاستمرارية وهو لا يتحقق إلّا بالمقاومة وعدم العجز أمام المحتل الغازي وما يلفت الانتباه إليه ونحن نتحدث عن أصالة المقاومة عند الأرض هو ما ترى به بشرى البستاني من دور الأرض في عملية المقاومة فالأرض عند بشرى البستاني ليست مسرح مقاومة أهلها فحسب بل هي التي تقاوم من احتلّها واحتلّ ترابها والارتباط بين الأرض وبين المحتلّ الغازي وبين إنسانها اتصال على أساس النضال والمكافحة وهي التي تتوّحد مع إنسانها المقاوم لأجل التحرير والخلاص وهذا التوحد ما تنبعث منه الفاعلية وتجعل خفوت الإنسان العربي الموجوع في مسيرة المقاومة؛ إسمعها تقول:

الضفائرُ مشرعة للوصالِ/ القناديل في الليل تأسرني/ إهمسي للجراح ليطُلعَ وردٌ بأردانها/ إهمسي للخيول التي هجعت كي تفك أعنتها (البستاني، ٢٠١٢: ٣٦).

٥.٢ الحضور الأسطوري للمرأة

فقد يأتي حضور المرأة بطابعها الأسطوري ضمن العملية الانبعاثية في شعر بشرى البستاني. حضور المرأة بطابعها الأسطوري الذي يحمل دلالات التجدد والخصب والنماء في الميثولوجيا العراقِّية يبعث على الأمل والتفاؤل:

فوق الدبابة خاتمُ الأنثي/ يلمع في وهج الشمس/ ويرقي عبر سلالم تعزفُ حزن القدس/ الموصلُ تُوجعها ثرثرة العرباتِ/ الريحانُ يفتحُ قلب الموسيقي/ في غور الليلْ/ يطلعُ وردٌ في خصر الجبل الفضيّ/ ويسقط تمثالْ (البستاني، ٢٠١٢: ١١٣٠).

وتلوح هنا تباشير الأمل والتفاؤل بحضور خاتم الذات الأنثوي في النص الشعري على الدبابة والمرأة في الميثولوجيا العراقي ترتبط بدلالات الخصب والنماء والانبعاث فلمعان خاتم الأنثي بهذه الدلالات في وهج الشمس واهبة الدفء والضوء والحياة مع تفتح قلب الموسيقي وهي تولدت في الموصل أصلاً وفيها إشارة إلى الحضارة العراقية تعبير عن استمرارية الفعل الحضاري للعراق المعاصر وتطلع الورد وهو يحمل دلالات الحياة و السعادة باللون الأحمر الذي يرفض السكونية والضياع والتشتت في خصر الجبل الفضي وهو رمز للعراق بصلابته وقوته، يبعث على الأمل والتفاؤل و محصلته أي المقطع النهائية هو زرع الأمل والتفاؤل في نفوس الشعب بالإشارة إلى حتمية تجاوز المرحلة الزمنية الراهنة والتوصل إلى استمرارية دورة الحياة.

٦.٢ الشهادة

إنَّ فكرة الموت والشهادة في سبيل الأرض والوطن هي الفكرة الطاغية على كلّ مجاميع بشرى البستاني الشعرية. والحقيقة الّتي تؤمن بها الشاعرة هي أنَّ الشهادة والموت والتضحية بالغالي والنفيس في سبيل الوطن ما يخلّص الأرض من المحن والمكابدة ويلم تشظيات المكان ويحقّق الخلود والديمومة للشهيد:

> قبور الشهداء/ تنهض في الفجر/ ويحفُّ بها النرجسُ/ ينشالُ عليها الطلُّ الأخضرُ/ باسقةٌ أحزانُ الشجرِ الباذخِ/ طلعُ الحزنِ نضيدٌ (المصدر نفسه: ١٠٩).

نهوض قبور الشهداء عند الفجر هو معطٍ سيمائي وهبوطها على النهر تشكيل فني تناصي بارع يحمل فكرة مفادها أنّ الثائر الذي يثور دفاعاً عن الوطن لا يموت باستشهاده والشاعرة بهذا التشكيل الفني تحاول أن ترسم رغم الفاجعة، طريق الخلاص ألا وهو الشهادة و تقديم التضحيات الجسيمة حتى يحصل جراء ذلك الخلاص/ الفجر فدماء شهداء هي التي تطرد الجفاف وتروي الأرض وتجدد الحياة ومسيرتها وتخلص الوطن من الخطر المحدق به ويحقق الخلود لصاحبه. إنّ الشاعرة أرادت بقولها نهوض الشهداء عند الفجر أن تقولَ: إنّ قدر هذا المكان قدر متصل بالتضحيات وهو لا ينفصل عن الشهادة والشهداء لايموتون فيه بل تبقى دماءهم نبراس الوطن إلى مجده المفقود وأرى أن تمجيد الشهيد و الشهادة في خطاب بشرى

البستاني جاء ليذكر الشعب في ظروف المحنة والمعاناة «أنّ المجد والخلود المتمثل في الفجر للذين لايتقاعسوا عن المقاومة، الذين تجري دماءهم خلاصاً للوطن ودماءهم أداة التغيير على الأرض وأنها الأسطورة التي تغير وجه الأرض ويعيد رسم خريطة الوطن وتبشّر بالفجر القادم» (سالم المزايد، ٢٠١٤: ٥٨). فالأمة لا يستطيع عند بشرى البستاني أن تستعيد كرامتها إلّا بالمقاومة والمصابرة والمقاومة هي عنوان الحضور والشهادة في سبيل الوطن هي الّتي تنجيه من المحن والمكابدة ويعيد إليه فاعليته ما عبرت عنها بالنهر الذي يحمل دلالات الحركة والتفتح ورمز الخلود يكمن عند بشرى البستاني في التضحية والشهادة ومثل قولها في قصيدة مواجع الباء:

الرياح تشرب الغصونَ/ ساعداي يشربان مدها وجزرها وما يلي الأنهار/ النخيل يشرب المدى/ الغيوم/ تشربني فتهطل المياهُ (البستاني، ٢٠١٢: ٢٥٠).

نرى هنا المواجهة بين السلطة وبين الذات الشاعرة وما تكرسه الشاعرة هنا بالإشارة المضمرة للشهادة هو أنّ ما يحقّق الحركة والديمومة للمكان هو الشهادة في سبيل الأرض والوطن. إنَّ الرياح هي رمز السلطة الأمريكية وشربها للغصون تعبير عن انطفاء فاعليات المكان بفعل السلطة الأمريكية وشرب ساعدي الشاعرة لمد الرياح وجزرها تجسد المواجهة للسلطة وشرب الغيوم للشاعرة تعيدنا إلى فكرة الشهادة التي تنبثق منه الحرية والخلاص والتوصل إلى الحركية والفاعلية المتمثلة في المياه ومثل هذا المعنى تكرّسه الشاعرة بإضافة الغبش إلى الفجر في قصيدة «أندلسيات لجروح العراق» على سبيل المفارقة الفظية الّتي تبعث على الأمل والتفاؤل:

أشباح القتلى/ نُهبت في غبش الفجرِ مقابرهم ../ وارتجت تحت عويل الريحِ (المصدر نفسه: ١١٢).

وتجسّد في قصيدة «الاختيار» من ديوان مابعد الحزن أنّ الشهادة في سبيل الأرض هي التي تعيد للمكان فاعلياته وتصنع الغد الناصع. إنَّ الأغصان في هذه القصيدة هي فاعليات المكان التي تعيدها الشاهدة في سبيل المكان وتدلي النار إشارة إلى فكرة الإحياء الفينيقي الأدونيسي الّتي يتمكن المكان من التوصل إليها عند الشهادة ومواجهة عوامل السلب والانفصال حتّى الموت:

في سيناء/ في أمّ العقاربِ/ أوجه الأحبابِ/ شبت أزرعُ الشهداءِ أغصاناً/ تُدلي النارَ الريحان (المصدر نفسه: ٥٦٧).

ونجدها في قصيدة «أندلسيات لجروح العراق» تعبّر عن حقيقة تؤمن بها وهي أنَّ الحرية التي تتمتّع بها الأرض هي نتيجة دماء الشهداء والأرض تتمكن من الوصول إليها مادام ديدنها الشهادة والموت في سبيل الوطن إسمعها تقول:

صندوق الدنيا ../ خبّأً عاصفةً ينشرها الموت/ على حبل غسيلٍ يرميه الشهداء/ نحو الوديان/ حنين البوح/ مختنقٌ خلفَ سديم الكلمات (المصدر نفسه: ١٠٥).

وما يطالعنا في هذه اللوحة هو تصوير حبل غسيل يرميه الشهداء في الوديان العراقية والموت ينشر عليه العاصفة التي تحمل دلالات الحرية والحياة والصورة تعبّر بالقرينة المضمرة عن حقيقة تؤمن بها الشاعرة وهي أنّ العراق بلاد الثوار والشهداء وهي تؤمن بأنّ العراق رغم الحضور الأمريكي وما تصدر عنه من القتل واستلاب الحريات ألا أنّه يتوصل إلى الحياة والحرية التي تستلبها اليوم السلطة الأمريكية حصلت بدماء الشهداء والعراق يتوصل إليها رغم استلابها فعلياً بفعل السلطة الأمريكية لأنّ الشهادة والموت في سبيل الحرية والحياة هي أصالته وديدنه فرغم استلاب الحريات في أرض العراق *حبأً عاصفةً* ورغم فضاء الخناق المحدق بالعراق وهو ما يعبّر عنه سديم الكلمات في التشكيل الشعري فالعراق يتمكن من الوصول إليها لأنَّ الحرية في العراق نتيجة لدماء الشهداء ومادامت الشهادة في سبيل الأرض هي ما تتّسم بها الأرض فإنّها تتمكن من التوصل إليها.

٣. النتائج

بشرى البستاني مؤمنة بالانتصار في كلّ كلمة تقولها وفي كلّ سطر تكتبه. إنّ قصائدها طافحة بإشارات الأمل والتفاءل. أنّ بث روح الأمل والتفاءل في الشعر استراتيجية فكرية تعتمد عليها بشرى البستاني لدعوة المتلقي إلي الصمود ومواجهة العدوان والشعور بمغزي الحياة. بشرى البستاني شاعرة موضوعية تتناول الأحداث برؤية موضوعية، قصائدها تحمل إشارات الحزن والأسى من تشظي الواقع وتلاشي الحلم القومي العربي لكنها تردفها بالأمل المغروس في ذاتها

إذ إنّ الأمل الذي تصوره بشرى البستاني بصورة بالوعي الممكن، هو الذي يمنح المكان هويته ويحقق الحضور في أجواء من الغياب ويتبني فكرة المواجهة ويكون عاملاً محفزاً نحو الحركة والتغيير ويبث في النفوس جذوة التحدي ويجعل الشعب أن لا يركن للسكون ولا يهادن ولا يسلم نفسه لعوامل الإفقار واليأس مهما حاصرته عوامل السلب والانفصال وهكذا يستطيع أن يعيد كرامته ويصنع الغد الناصع فالركون لليأس والاستسلام عند بشرى البستاني أخطر على مستقبل الأرض والأمة من وجود عوامل السلب والانفصال ولا يمكن أصلاً استمرارية دورة الحياة ومواصلة الفعل الحضاري الخلاق الّذي كان العراق متّسماً به إلّا عند وجود الأمل والتفاؤل ما يتمكّن الإنسان من المواجهة والتصدي ومن ثمّ السيطرة على العدوان.

وسيلة بشرى لغرس الأمل والتفاؤل في نفوس الشعب هي التركيز على فكرة الحب بوصفه وسيلة تحقق للأرض وإنسانها الكينونة والخلود والتركيز على فعل الشهادة وتجسيد أصالة المقاومة التي كانت الأرض متّسماً بها توظيف الإشارات التاريخية والدينية والرموز المعرّفية تكون في بعض الأحيان وسيلة الشاعرة ومرتكزها الأساس لبثّ الأمل والتفاؤل في نفوس الشعب ومن ثمَّ الدعوة إلى المقاومة والحضور.

المصادر

أنطونيوس، بطرس (د.ت). *بدر شاكر السياب شاعر الوجع*، لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب.

البستاني، بشرى (د.ت). «جماليات المكان»، (الموصل في شظايا القلب نموذجا) www.dijila.com.

حفني، حسن (١٩٩٧م). *موقفنا الحضاري*، الجامعة الأردنية: ضمن كتاب بحوث المؤتمر الفلسفي.

الحفوظي، محمد الطيب (٢٠١٢م). «الرمز الشعري في قصيدة بابل»، www.dijila.com.

خليل موسى (٢٠١٢م). *قراءات نصية في الشعر العربي المعاصر في سورية*، وزارة الثقافة، من منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.

الخليل، سمير (٢٠١٢م). *علاقات الحضور والغياب في شعرية النص الأدبي*، ط ٢، دمشق: دارالتموز.

ربابعة، موسى (٢٠١١م). *آليات التأويل السيميائي*، ط ١، الكويت: مكتبة الآفاق.

الرديني، رائد فؤاد طالب (٢٠١٤م). «المواجهة الحضارية في شعر بشرى البستاني»، مجلة *آداب الرافدين*، العدد ٦٩.

سليمان سالم الرواشدة، إسماعيل (٢٠١٤م). «تجربة شوقي بزيع الشعريّة واتجاهات موضوعيّة وفنيّة»، رسالة الدكتوراه، جامعة مؤتة: عمادة الدراسات العليا.

شرتح، عصام (٢٠١٢م). *الشعر والنقد والسيرة: مقاربة لتجربة بشرى البستاني*، ط ١، بيروت: دمشق.

صابرعبيد، محمد (٢٠١٠م). *فضاء الكون الشعري من التشكيل إلى التدليل*، دمشق: دار النينوي.

عابد، توفيق (٢٠١١م). شاعرة عراقية تطالب بتحرير ثقافتنا من التبعية واستنجار المواقف(الحوار) (www.dijila.com)hgp.

عبد الحليم عباس، عباس (٢٠٠٢م). *إحسان عباس بين التراث والنقد الأدبي*، عمان: وزارة الثقافة.

عثمان عباس، شريفة (٢٠٠٩م). «أدوات البناء الفني في شعر أمل دنقل»، جامعة الخرطوم، بحث مقدم للنيل إلى شهادة الماجستير.

عثمان، ياسر (٢٠١٥م). *الإنتهاك ومآلات المعنى*، ط ١، سورية: دار النينوي.

غانم، فاتن فتحي (٢٠١٥م). *تداخل الفنون في الشعر النسوي المعاصر*، بشرى البستاني أنموذجا، العمان: دارالفضاءات للنشر والتوزيع.

القطاوي، مصطفى (٢٠١٥م). «تظافر النحو والدلالة في ديوان أوراق الزيتون لمحمود درويش»، مجلة *الزرقاء للبحوث والدراسات*، العدد ١، المجلد ١٥.

قطوس، بسام (٢٠٠٠م). مقاربات نصية في الأدب الفلسطيني الحديث، ط ١، عمان: دارالشروق.

قميحة، محمد مفيد (١٩٨١م). *الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر*، ط ١، بيروت: دارالآفاق الجديدة.

هلال، عبد الناصر (٢٠١٠م). *الشعر العربي المعاصر؛ انشطار الذات وفتنة الذاكرة*، بيروت: دار العلم والإيمان.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی